وجه التمثيل الشعري في نهـج البلاغـة

م.عبد الواحد خلف وساك
جامعة ميسان/كلية التربية

المقدمــة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الغرّ الميامين .

نهج البلاغة كتاب يحتوي على جملة ما اختاره الشريف الرضي الشاعر العربي المعروف من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) من خطب ومواعظ وأدب ورسائل ووصايا وأقوال قصيرة وحكم بليغة ، وهذا الكتاب يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي أحاديث الرسول (صلّى الله عليه وأله) والقرآن الكريم من أسس البيان الجاهلي الصافي على البيان الإسلامي الصافي المُهذّب المُتّحِد بالفطرة والمنطق القويّ اتّحادا رائعا .

ولقد أثار اهتمامي بعض الأبيات التي تمثّل بها الإمام عليّ أثناء الخطبة أو الكتاب(الرسالة)، وكذلك التي تمثّل بها الشريف الرضي أثناء تعليقه على نصّ من نصوص الإمام فتوكلتُ على الله، وأخرجت هذه الأبيات مشيرا إلى الخطبة أوالكتاب الذي ذُكِر فيه البيت الشعري محاولا معرفة قائله، وهل هناك علاقة بين النصّ النثري والبيت الشعري؟

فكان قوام بحثي مبحثين وخاتمة.

أمّا المبحث الأول فقد ذكرتُ فيه ما تمثّل به الإمام عليّ مُرتّبا الأبيات ترتيبا هجائيا حسب القافية مع ذكر النصّ النثري المناسب من الخطبة أو الكتاب القريب من البيت الشعري.

وأمّا المبحث الثاني فقد ذكرتُ فيه ما تمثّل به الشريف الرضي حسب الترتيب السابق.

وأمّا الخاتمة فقد ذكرتُ فيها ابرز نتائج البحث.

وقد اعتمدتُ في بحثي على جملة من المصادر أهمها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وشرح ميثم البحراني، ونهج البلاغة محمد عبدة ، وكتب الأمثال، وبعض المعاجم مثل لسان العرب ، وبعض الدواوين الشعرية ، اسأل الله التوفيق، وما التوفيق إلّا من عند الله.

المبحث الأول : ما تمثّل به الإمام عليّ (عليه السلام)

ـ فإن تَسألِيني كَيفَ أنتَ فَإنَنِي صَبُورٌ عَلى رَيبِ الزّمَانِ صَلِيبٌ
يَعزُّ عَليّ أن تُرى بي كآبَـةٌ فَيشمتُ عَـادٍ أو يُسـاءُ حَبِيـبٌ

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل عند ما وصل إلى قوله :

((ولا تَحسبَنّ ابنَ أبيك ـ ولو أسلمَهُ اللهُ ـ مُتضَرِعا مُتخشِعا ، ولا مُقرا للضيم واهنا ، ولا سَلسَ الزّمام للقائِدِ ، ولا وطِئ الظّهر للراكب المُتعقّدِ ، ولكنّه كما قال أخو سُليم ...)).[1]

والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمي ، ولم أجده في ديوانه ، وقد جاء لابن ميادة (ت ٧٦٦هـ) بيت شعر يشبه البيت الأول في قصيدة له منها هذه الأبيات رواها صاحب الأغاني:

أجارتنا إنّ الخطوب تنوبُ علينا وبعض الآمنين تصيبُ

(١) نهج البلاغة٣ / ٥٧٧ ، وينظر الأغاني ١٦ / ٢٩٠.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجارتنا لستُ الغداة ببــارح ولكن مقيم ما أقـام عسيب
فإن تسأليني هل صبرت فإنني صبور على ريب الزمان صليب

قال علي بن الحسين : هذه الأبيات أغار عليها ابن ميادة فأخذها بأعيانها ، أمّا البيتان الأولان فهما لامرئ القيس قالهما لمّا احتضر في أنقرة في بيت واحد هو :

أجارتنا إنّ الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثّل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب فنقله ابن ميادة نقلا .[١]

وفي موضع آخر روى صاحب الأغاني خبرا آخرَ ، قال : وسمع صخرٌ أخته الخنساء تقول: كيف كان صبره ؟ فقال صخر في ذلك :

أجارتنا إنّ الخطوبَ تنــوبُ على الناس كلّ المخطئين تصيبُ
فإن تسأليني هل صبرتَ فإنني صبورٌ على ريبِ الزمانِ صليبُ . [٢]

وهذا يعني أنّ البيت الأول الذي تمثّل به الإمام علي هو كما قال علي بن الحسين لشاعر من شعراء الجاهلية ولعله صخر أخو الخنساء لأنه من بني سُليم.

ومعنى الشعر ظاهر، وفي الأمثال الحكمية لا تشكونّ حالك إلى مخلوق مثلك فإن كان صديقا أحزنته، وإن كان عدوا أشمته ، ولا خير في واحد من الأمرين وقول الإمام إنه ليس مُقرّاً للضيم وبالضيم أي : راضٍ به صابرٌ عليه ، وواهنا أي : ضعيفا ، ولا سلس أي : سهل الزمام للقائد ، أو راكب البعير.[٣]

ووجه التمثيل : شجاعة الإمام المتمثلة بقوله في الرسالة نفسها: ((لا يزيدني كثرة الناس حولي عِزة، ولا تفرقهم عني وحشة)) إلّا انّه صبور وصلب ((ولا يوجد معها بالصفات المذكورة بالجبن والعجز والانقياد للعدو ، ولكنه معها كالقائل ... وهو في قوة تمثيل أصله القائل وفرعه هو عليه السلام ، وعلّته ما ذكر من الأوصاف ، وحكمه كونه شجاعا يجب الحذر منه)) ،[٤] ولا يودّ أن يُرى به تغيّر في النفس وانكسار من شدّة الهم والحزن ؛ لأنّ ذلك يعني شماتة الأعداء وإساءة الأحباب .

- ..... وَقد يَستفيدُ الظّنّة المُتنصحُ

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى معاوية وهو من محاسن الكتب عندما وصل على قوله : ((... وما كنتُ لأعتذرُ من انّي كنتُ أنقمُ عليه أحداثا ، فإن كانَ الذنبُ إليه إرشادي وهدايتي له فرُبّ ملومٍ لا ذنبَ له وقد يستفيدُ الظّنّة المُتنصحُ))[٥]

الذي يتحدث عنه الإمام عليّ(ع) هو عثمان بن عفان(رض) ، وقد جاء في كتب الأمثال : مَن أفرط في النصيحة لحقته التّهمة ، وقيل : كثير النصح يلحق بك على كثير الظّنّة ، والمثل لأكثم بن صيفي ، ومعناه أنك إذا بالغت في النّصح لصاحبك ظنّ أنك تريد خطأ لنفسك ، وقال أكثم في موضع آخر : إذا بالغت في النصيحة ة فتأهب للتهمة ، وأنشدنا أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان قال أنشدنا عمارة بن عقيل :

ألم تعلموا أني وإن قلّ شكركم لأعراضكم واقٍ أحوطُ وأمدحُ
وكم سقتُ في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظّنّة المُتنصحُ [٦]

---

(١) الأغاني ٢ / ٢٧٠ .
(٢) الأغاني ١٥ / ٧٦ ، وينظر فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١ / ٧٢ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ١٥٢ .
(٤) شرح ميثم البحراني ٢ / ٤٠٤ .
(٥) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٠ ، وينظر صبح الاعشى ١ /٢٦٧ .

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي : إذا بالغت في النصيحة اتهمك مَن تنصحه ، وتسقط به النصيحة أي: كثرة نصيحتك إياه تحمله على أن يتهمك ، وسقط به النصيحة على الظنّة أي : أسرف في النصيحة حتى أتهم،(١) ومنه المثل : الحزم سوء الظنّ ، وفيه لاتجوز شهادة ظنين أي : متهم في دينه فعيل يمعنى مفعول، ومنه حديث ابن سيرين : لم يكن عليّ يظنّ في قتل عثمان وأصله يظتن ثمّ قُلبت طاء مهمله ثمّ طاء معجمة ثمّ أدغمت،(٢) والمثل يُضرب لمن أفرط في النصيحة حتى يُتهم .(٣)

ووجه التمثيل أنّ الإمام عليّ(ع) كان ينصح الخليفة عثمان(رض) كثيرا في مواقف ومواضع كثيرة، ولا سيما أيام الفتنة ، ونتيجة إسرافه في النصح أتّهم ، فتمثّل بهذا الشطر الذي أصبح من أمثال العرب، وقد أكّد الإمام أنه بعيد عن هذا الاتهام مخاطبا معاوية في الكتاب نفسه : ((أيُّنا كانَ له أعدى وأهدى إلى مقاتلتِهِ، أ مَن استنصرهُ فتراخَى عنه وبَثّ المَنونَ إليه ... ؟)) .

ـ مُستقبلين رياحَ الصيفِ تَضربُهُم بحاصبٍ بينَ أغوارٍ وجلمودِ

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى معاوية جوابا ، وذلك عندما وصل إلى قوله :

((... فإني إن أزُرْكَ فذلك جديرٌ أن يكونَ اللهُ إنما بعثَنِي للنقمةِ مِنك ، وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد..)) .(٤)

قال ابن أبي حديد : ((إن أزرك في بلادك)) أي : إن غزوتك في بلادك فخليق أن يكون الله بعثني للانتقام منك ، و((إن زرتني)) أي : إن غزوتني في بلادي و أقبلت بمجموعك إليّ كنتم كما قال أخو بني أسد ... وأضاف : كنتُ أسمع قديما أنّ هذا البيت من شعر بشر بن أبي خازم الأسدي ، والآن تصفحت في شعره فلم أجده فيه ولا وقفتُ بعد على قائله ... وريح حاصب تحمل الحصباء وهي صغار الحصى ، وإذا كانت بين أغوار وهي ما سفل من الأرض وكانت مع ذلك ريح صيف كانت أعظم مشقة واشدّ ضررا على مَن تلاقيه ، وجلمود يمكن أن يكون عطفا على حاصب ، ويمكن أن يكون على أغوار أي : بين غور الأرض وحرّه وذلك أشدّ لأذاها لم تكسبه الحرّة من لفح السموم ووهجها والوجه الأول أليق.(٥)

وقد جاء للفرزدق بيت شعر يشبه البيت السابق في قصيدة له أولها :

كيفَ ببيتٍ قريبٍ منكَ مطلبُهُ في ذاك منك كنائي الدار مهجور

مستقبلينَ شمال الشأم تضربنا بحاصبٍ كنديف القطنِ منثورِ.(٦)

ووجه التمثيل بالبيت أنه شبّه استقبال معاوية له باستقبالهم رياح الصيف ، وشبّه نفسه برياح الصيف ، وجعل وجه المشابهة كونه يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء.(٨)

ـ أمرتُكُم أمري بِمُنعرجِ اللّوى فلم تستبينوا النّصحَ إلّا ضحى الغدِ

تمثّل به الإمام في خطبة له بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكمين وذلك عندما وصل إلى قوله :

((...قد كنتُ أمرتُكم في هذه الحكومة أمري ... فأبيتم إباء المخالفين الجفاة ، والمنابذين العصاة حتى

---

(١) كتاب جمهرة الأمثال١ / ٢١ و٢ / ١٦١ .
(٢) مجمع الأمثال١ / ٦٧ و١٢٥ و٣٤٢ .
(٣) النهاية في غريب الأثر٣ / ١٤٠ و ١٥٣ .
(٤) المستقصي في أمثال العرب ٢ / ٢٨ و٧٩ و٢١٥ .
(٥) نهج البلاغة ٦٣٨/٣ .
(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩.
(٧) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٧ .
(٨) شرح ميثم البحراني ٢ / ٤٧٧ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ارتاب النصح بنصحه وظنّ الزند بقدحه فكنتُ وإياكم كما قال أخو هوازن ...)) .[١]
وأخو هوازن صاحب الشعر هو دريد بن الصّمة ، والأبيات مذكورة في ديوان الحماسة لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي وأولها :
نصحتُ لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي.[٢]

وعارض أخو دريد وكان له ثلاثة اسماء وثلاث كنى ، والرهط : القوم ، وبنو السوداء : أصحاب عبد الله أخيه الذين كانوا معه ، والقوم شهدي أي : شهود على نصحي لهم ، والمعنى : لم آلُ جهدا في نصحي لأخي عارض وأصحابه ولقوم بني السوداء والقوم شهود ، ومعنى البيت : أبديت لهم رأيي بمنعرج اللوى ليكونوا على حذر فلم يظهر لهم رشد قولي إلّا حين دهمهم العدو في الضحى. [٣]

وقصة هذا البيت أنّ أخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال : لا والله لا أبرح حتى أنحر البقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة فقال له أخوه دريد : لا تفعل فإن القوم في طلبك فأبى عليه ، وبات فلما أصبح هجم القوم عليه وطُعن عبد الله بن الصمة وصُرع ، وحال الليل بين القوم فنجا دريد فقال القصيدة ... . [٤]

وقول الإمام : ((حتى ارتاب الناصح بنصحه)) يشير على نفسه يقول : خالفتموني حتى ظننتُ أنّ النصح الذي نصحتكم به غيرُ نصحٍ ؛ لإطباقكم وإجماعكم على خلافي ، وهذا حقّ ؛ لأنّ ذا الرأي الصواب إذا أكثر فخالفوه يشك في نفسه ، وأمّا ((ظنّ الزند بقدحه)) فمعناه : أن لم يقدح لي بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقيتُ منكم من الإباء والخلاف والعصيان ، وهذا حقّ أيضا لأنّ المشير الناصح إذا أُتهم واستغش عمر قلبه وفسد رأيه ، وهذه الخطبة خطب بها الإمام بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى الأشعري وافتراقهما وقبل وقعة النهروان. [٥]

ووجه تمثيل الإمام : أني كنتُ وإياكم في نصيحتي ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم
أمري المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم من الندامة والهلاك[٦] ، فكانت النتيجة خسارة قوم دريد في المعركة وخسارة قوم الإمام في التحكيم وظهور أمر الخوارج .

ـ وحسبُكَ داءً أن تبيتَ ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة ، وقد بلغه أنه دُعي على وليمة قوم من أهلها فمضى إليها عندما وصل على قوله : ((... ولكن هيهاتَ أن يغلبني هواي ويقودني جَشعي إلى تخيّرَ الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة مَن لا طمعَ لهُ في القرص ولا عهدَ

(١) نهج البلاغة١ /١٣٩، وينظر جمهرة خطب العرب١/٣٩٢.
(٢) ديوان الحماسة : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
(٣) ديوان الحماسة شرح التبريزي ١ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
(٤) شرح ميثم البحراني ٢ / ٢٧٤ .
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .
(٧) شرح ميثم البحراني ٢ / ٢٧٤ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

له بالشبع أو أبيتُ مبطانا وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى أو أكونُ كما قال القائل ...)).[١]

قال ابن أبي الحديد : ((هذا البيت من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائي الجواد وأولها :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالـــك ويا ابنة ذا الحدين والفرس الورد
كفى بك عارا أن تبيتَ ببطنة وحولك أكباد تحنُّ إلى القـــدِّ
وأني لعبد الضيف مادام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبدِ[٢]

وقد وردت هذه الأبيات في ديوان حاتم الطائي،[٣] وفي ديوان الحماسة لأبي تمّام،[٤] وليس معها البيت المتمثل به ، والبيت منسجم مع القصيدة من حيث الوزن (البحر الطويل) والقافية، والمعنى السياقي ، فلمَ لا يضاف إليها في ديوان حاتم الطائي ؟ وممّا يعزز ذلك رواية ابن أبي الحديد مع تغيّر بسيط وهو

(كفى بك عارا) بدل (وحسبك داءً) .

وفي البيت مسألة بلاغية في قوله (حولك أكباد) هي المجاز المرسل وعلاقته الجزئية؛ إذ ذكر جزء الشيء وأراد كله كقوله تعالى : (فتحرير رقبة مؤمنة).[٥]

فقد ذكر في الآية الرقبة والمقصود بها العبد ، والشاعر ذكر الأكباد والمقصود الناس الفقراء .

ووجه التمثيل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة إلى يسير الطعام ونبّه على حسن اللوازم بما قارن نقايضها من الأحوال المذكورة.[٦]

ـ أدمتَ لعمري شربَكَ المحضَ صابحا وأكلَك بالزبدِ المقشّرةِ اليجرا
ونحنُ وهبناك العُلا ولم تكُـــــن عليّا وحُطنا حولك الجُردَ والسّمرا

تمثل به الإمام في خطبة له عند خروجه لقتال أهل البصرة وذلك عندما وصل إلى قوله : ((ما لي ولقريش ! واللهِ لقد قاتلتُهم كافرينَ ولأقاتلنّهم مفتونينَ ، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبُهم اليوم ! والله ما تنقمُ منّا قريشٌ إلّا أنّ اللهَ اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأولُ ...))[٧].

وردت هذه الخطبة في جمهرة خطب العرب[٨] مع بعض التغيّرات وبلا ذكر للبيتين السابقين، وعلّق ابن أبي الحديد على قول الإمام ولم يذكر اسم الشاعر بقوله: ((قال: قاتلتُ قريش كافرين ولأقاتلنهم مفتونين لأنّ الباغي على الإمام مفتون فاسق)) وقد نسبهما محقق الشرح إلى كعب بن زهير[٩]، ولم أجده في ديوانه .

وقوله : ما لي ولقريش استفهام على سبيل الإنكار وحسم لأعذارهم في حربه وقوله : والله لقد قاتلتهم كافرين إظهار للمنّة عليهم بسوقه لهم إلى الدين أولاً

وتعبير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم بـه

وليخجلوا من مقاتلته بالباطل وهو إظهار الإنكار عليه إذ كانوا أولى بإتيان المنكر منه ، وأولى بردّهم عنه آخرا وكما كان أولاً وقوله : لأقاتلنهم مفتونين فهو تهديد بأن يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالتهم على الدين.[١٠]

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٨٩ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٢٨٨ .
(٣) ديوان حاتم الطائي / ٤٣ .
(٤) ديوان الحماسة / ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .
(٥) النساء / ٩٢ .
(٦) شرح ميثم البحراني ٢ / ٤٢٠ .
(٧) نهج البلاغة ١ / ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٨) جمهرة خطب العرب ١ / ٢٦٨ .
(٩) شرح ابن أبي الحديد ٢ / ١٨٧ .
(١٠) شرح ميثم البحراني ١ / ٢٦٦ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي قول الإمام إشارة إلى عدم تغيّر حاله منذ حارب مع النبي في بدء البعثة فهو كما حاربهم على الكفر في الجاهلية يحاربهم على البغي في الإسلام. (١)

ووجه التمثيل أنّ الإمام يشه حال قريش الذين خرجوا عليه بحال الذي أدمن على شرب اللبن الخالص كل صباح ، واكله للزبد أي : حال الترف الذي يعيشه وهو لم يحصل على ذلك إلّا بفضل غيره؛ لأنّ قريش ارتفع اسمها وعلا قدرها بسبب النبوة، والنبوة نزلت في آل عبد المطلب ، فما الإمرة والعلا الذي وصلت إليه قريش إلّا بفضل الرسول الكريم محمد(ص) من بني عبد المطلب ، وقد أكّد ذلك قول الإمام في الخطبة نفسها : ((إنّ اللهَ بعثَ محمدا صلّى الله عليه وآله ، وليس أحدٌ من العربِ يقرأ كتابا أو يدّعي نبوةً فساقَ الناسَ حتى بوّأهم محلّهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتُهم)) ، فبوأهم محلهم أي : أنزلهم منزلتهم والمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة ، وفي قوله استقامت قناتهم تمثيل لاستقامت أحوالهم .

- ..... وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى معاوية وهو من محاسن الكتب عندا وصل إلى قوله : ((... وزعمتَ أني لكل الخلفاءِ حسدتُ وعلى كلهم بغيتُ ، فإن يكُن ذلك كذلك فليست الجنايةُ عليك فيكون العذرُ لك وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها))، وهو لأبي ذؤيب الهذلي وأول البيت :

وعيّرها الواشون أني أحبها ...)). (٢)

وهذه البيت من القصيدة التي مطلعها : هل الدهر إلّا ليلة ونهارها وإلّا طلوع الشمس ثُمّ غيارها. (٣)

وجاء في لسان العرب : الشكاة : توضع موضع العيب والذم ، وعيّر رجلٌ عبدَ الله بن الزبير بأمه فقال : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، أراد أنّ تعييره إياه بأنّ أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار، ومعنى قوله ظاهر عنك عارها أي : نابٍ أراد أنّ هذا ليس عارا يلزق به وأنه يفتخر بذلك . (٤)

كما جاء في ثمار القلوب : أنه لمّا قاتل أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير بمكة كانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين وهو يقول : ابنها والله ثمّ ينشد :

وعيّرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإن أعتذر عنها فإني مُكذب وإن تعتذر يردّ عليها اعتذارها . (٥)

ووجه التمثيل جواب الإمام عمّا ادعاه معاوية بزعمه من حسده(عليه السلام) لساير الخلفاء وبغيه عليهم ، وتقرير الجواب أنه لا يخلو إمّا أن تكون هذه الدعوى صادقة أو كاذبة ، فإن كانت صادقة كما زعمتَ فليست جنايتي عليك حتى يكون عذري عنها إليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك ، وأكّد ذلك بالمثل الذي هو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ويُضرب لمن ينكر أمرا ليس منه في شيء ولا يلزمه إنكاره . (٦)

ـ شنّانَ ما يومِي على كُورِها ويومَ حيّانِ أخي جابر

تمثّل به الإمام في خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية ، وذلك عندما وصل إلى قوله : ((... فرأيتُ أنّ الصّبرَ على هاتا أحجى فصبرتُ وفي العين قذىً وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا ، حتى مضى الأولُ لسبيلهِ ، فأدلى بها إلى فلان بعده.

(ثمّ تمثّل بقول الأعشى) ...)) . (٧)

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٢) نهج البلاغة ٣ / ٤٧، وينظر صبح الأعشى ١ / ٢٧٦ و ٦ / ٢٦٩ .
(٣) ديوان الهذليين القسم الأول / ٢١ .
(٤) اللسان ١٤ / ٤٤٠ ـ ٤٤١ ، وينظر النهاية في غريب الأثر٢ / ٤٩٦ ، و ٣ / ١٩٥ .
(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١ / ٢٩٤
(٦) شرح ميثم البحراني ٢ / ٣٥٣ .
(٧) نهج البلاغة / ٨٥ ـ ٨٦ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي شرح ابن أبي الحديد قول الإمام : ((حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ...)) ، ولم يذكر اسم الشاعر في متن نهج البلاغة ، وذكر محقق الشرح في هامشه : ((وفي مخطوطة النهج ثمّ تمثّل بقول الأعشى)) وعلق ابن أبي الحديد : أمّا البيت الذي تمثّل به عليه السلام فإنه للأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل من القصيدة التي قالها في منافرة علقمة وعامر بن طفيل وأولها :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

ثمّ ذكر القصة : حيان وجابر ابنا السمير الحنفيان ، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة خمرة ، وكان نديم الأعشى، وكان أخوه جابر أصغر سنا منه فيقال إنّ حيان قال للأعشى : نسبتني إلى أخي وهو أصغر سنا مني فقال : إنّ الروي اضطرني إلى ذلك ، فقال : والله لا نازعتك كأسا أبدا ، يقول : شتان ما يومي وأنا في الهاجرة والرمضاء أسير على كور هذه الناقة ويوم حيان وهو في سكة الشراب ناعم البال مرفّه من الأكدار والمشاق،[١] أو أنا في السير والشقاء وحيان في الدعة والرخاء[٢]، وحيان كان جليلا ، ولم يكن جابر مثله فغضب وقال : كأني لا أُعرف إلّا بأخي[٣]، وجاء في جمهرة الأمثال : أنعم من حيان؛ لأنه كان رجلا منعما قال فيه الأعشى: (البيت السابق).[٤]

ووجه التمثيل بالبيت : أفاد السيد المرتضى : أراد بذلك أنّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم ورجعوا بمطالبهم فظفروا بها وهو في أثناء ذلك كله مُحقق في حقه مُكذب في نصيبه كما أشار إليه في قوله : وفي العين قذىً وفي الحلق شجا ، كان بين حالهم وحاله بُعد بعيد وافتراق شديد فاستشهد عليه السلام بهذا البيت واستعار لفظ اليومين ، وكّنى بهما عن حاله وحالهم، ووجه المشابهة في هذا المثل أنّ حالهم استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله عليه السلام استلزم

المتاعب كيومه على كور الناقة مسافرا ، ويقول الشارح البحراني : ويحتمل أن يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد الجسمية والكمالات من العلوم والأخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول(صلّى الله عليه وآله) وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الأذى ، ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول في المسارّ وما يشترك فيه كونه على كور ناقته وأوقاته بعد الرسول من المضار[٥]، ويقول ابن أبي الحديد : يقول شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر ومنيتُ به من انتشار الحيل واضطراب أركان الخلافة ، وبين عُمر حيثُ وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة ، وسكون شامل ، فانتظم أمره وأطرد حاله وسكنت أيامه[٦] .

وهذا القول أرجح ؛ لأن الإمام يشبّه حاله في الخلافة بالأول الذي هو كثير العناء شديد الشقاء حين جاءته أخيرا ، ويشبّه عُمر بالثاني (حيان) الذي هو وافر النعيم وافي الراحة .

ـ لعمرُ أبيك الخيرُ يا عمرو إنّني على وضرٍ مَن ذا الإناء قليلِ

تمثّل به الإمام في خطبة له وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمراق لمّا غلب عليهم بسر بن أرطأه فقام عليه السلام ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال : ((ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها ، إن لم تكوني إلّا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله)) ، و تمثّل بقول الشاعر...)).[٧]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ / ١٦٧ ، وينظر إصلاح المنطق ١ / ٢٨٢ .
(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٣٥٦ .
(٣) المستقصي في أمثال العرب ١/ ٣٩٣ .
(٤) جمهرة الأمثال ٢ / ٣٢٠ .
(٥) شرح ميثم البحراني ١ / ١٧٢ .
(٦) شرح ابن أبي الحديد ١ / ١٦٨ .
(٧) نهج البلاغة ١ / ١١٧ ـ ١١٨ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله (عليه السلام) : ((ما هي إلّا الكوفة)) أي ما ملكتي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها أي أتصرف فيها كما يتصرف الإنسان في ثوبه يقبضه ويبسطه كما يريد.

ثمّ قال عن طريق صرف الخطاب: ((إن لم تكوني إلّا أنت)) خرج من الغيبة إلى خطاب الحاضر، يقول : إن لم يكن لي من الدنيا ملك إلّا ملك الكوفة ذات الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله ، وشبّه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب وإفسادها الأرض.[١] ويبدو أنّ الشطر الثاني من البيت المتمثل به قد أصبح من الأمثال ، ولم ينسبه أحد إلى قائل ، فقد جاء في مجمع الأمثال: على وضر من ذا الإناء ، الوضر: الدرن والدسم ، وعلى مَن صلة فعل محذوف أي أرجي الدهر على كذا، يُضرب لمَن يتبلغ باليسير.[٢]

ووجه التمثيل: إني على بقية من هذا الأمر كالوضر القليل من الإناء، وهو تمثيل على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ووجه المشابهة ما يشرك فيه الكوفة والوضر في الحقارة بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا ، وما اشتمل عليه الإناء من الطعام.[٣]

وهذا ضرب من التشبيه الضمني بلون جديد وهو أن يكون المشبه نصّا نثريا والمشبه به نصّ نثري .

****

ـ ودع عنك نهبا صيحَ في حجراتِهِ ولكنّ حديثا ما حديثُ الرواحلُ

تمثل به الإمام في كلام له لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق فيه ؟ فقال : ((يا أخا بني أسد ... أمّا الاستبدادُ علينا بهذا المقامِ ونحنُ الأعلونَ نسبا ، والأشدونَ برسول اللهِ (صلّى الله عليه وآله) نوطا فإنها كانت أثرةٌ شحت عليها نفوسُ قومٍ آخرين ، والحكمُ للهِ والمعودُ إليه يومَ القيامةِ ودع عنك نهبا صيح في حجراته ...

وهلُمّ الخطب في ابن ابي سفيان)).[٤]

لقد ذكر ابن أبي الحديد البيت كاملا في أصل كلام الإمام وقال : ((أمّا البيت المتمثل به فهو لامرئ القيس بن حجر الكندي ، وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلّا بصدره فقط وأتمّه الرواة)).[٥]

وقصة البيت : أنّ امرأ القيس كان قد نزل على خالد بن إصبع النبهاني فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بإبله ، وفيمن أغار منهم رجل يقال له باعث، فلما أتى امرأ القيس الخبرُ ذكر ذلك لجاره خالد ، فقال له: اعطني رواحلك ألحق القوم فأدرك إبلك ، فأعطاه رواحله فلحقهم ، فقال : يا بني جديلة ! أغرتم على جاري قالوا: والله ماهو لك بجارٍ، قال : بلى والله ما هذه الإبل التي معكم إلّا كالرواحل التي تحتي فأنزلوه عنها ، وذهبوا بها أيضا فلما رجع إلى امرئ القيس تحوّل امرؤ القيس عنه فنزل على جارية بن مرّ بن حنبل أخي بني ثُعل فأجاره ، وأكرمه فقال يمدحه ويمدح بني ثُعل :

البيت السابق وبعده :

كأنّ دثارا حلّقت بلبونة عُقاب تنوفي لأعقاب الفواعل

يقول : دع عنك نهبا أغير عليه وصيح في نواحيه ، ولكن حدثنا حديثا عن الرواحل كيف ذُهب بها أيضا ؟ يقول هذا لخالد جاره.[٦]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٤١ .
(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٣٤ .
(٣) شرح ميثم البحراني ٢ / ٢٣٢ .
(٤) نهج البلاغة ٢ / ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٢٤٣ .
(٦) ديوان امرئ القيس / ٩٤ .

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأمّا قول الإمام فالاستبداد بالشيء : التفرد به ، والنوط : الالتصاق، وكانت أثرة أي استئثارا بالأمر واستبدادا به، وشحت : بخلت ، وإنّ الحكم هو الله، وإنّ الوقت الذي يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة،[١] وهلُمّ الخطب هذا يقوي مَن روي عنه أنّه عليه السلام لم يستشهد إلّا بصدر لبيت كأنه قال : دع عنك ما مضى ، وهلُمّ ما نحن فيه من أمر معاوية فجعل هلُمّ ما نحن فيه قائما مقام قول امرئ القيس:

... ولكنّ حديثا ما حديث الرواحل.[٢]

ويبدو أنّ هذا الشطر قد أصبح مثلا للعرب ، فقد جاء في النهاية في غريب الأثر:

((هذا مثل للعرب يُضرب لمَن ذهب من ماله شيء ثُمّ ذهب ماهو أجلّ منه ، وهو صدر بيت لامرئ القيس ... أي دع النهب الذي نهب من نواحيك ، وحدثني حديث الرواحل وهي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت)).[٣]

ووجه التمثيل : هو أنّ السابقين من الأئمة ، وإن كانوا قد استبدوا بهذا الأمر فحديثهم مفهوم إذ لهم الاحتجاج بالقدمة في الإسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول(صلّى الله عليه وآله) ، وكونهم من قريش ، فدع ذكرهم وذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معاوية ، والخطب هو الحادث الجليل ، وأراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به على الأحوال التي أدت إلى أن كان معاوية منازعا له في هذا الأمر مع بُعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه.[٤]

****

ـ لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل .....

تمثّل به الإمام في كتاب له إلى معاوية جوابا وهو من محاسن الكتب عندما وصل إلى قوله :

((...وذكرتَ أنه ليسَ لي ولأصحابي عندك إلّا السيفُ فلقد أضحكتَ بعد استعبار ! متى ألفيتَ بني عبدِ المطلبِ عند الأعداء ناكلين مُخوّفين ؟

فـ لبّث قليلا يلحقُ الهيجا حَمل ...

سيطلبك مَن تطلب ويقرّبُ منك ما تستعبدُ ...)) .

وحَمَل ـ بالتحريك ـ هو ابن بدر رجل من قشير أُغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبّث قليلا يلحقُ الهيجا حَمَل لا بأس بالموت إذا الموتُ نزل

فصار مثلا يُضرب للتهديد بالحرب.[٥]

وفي رواية أخرى في جمهرة الأمثال:

لبّث قليلا يلحق الهيجا حَمَل ما أحسن الموت إذا حانَ الأجل

قالوا في حمل هو اسم رجل شجاع كان يستظهر به في الحرب ولا يُبعد أن يُراد به حمل بن بدر صاحب الغبراء يضرب به مَن ناصره وراءه ، أي : انتظر حتى يتلاحق الشبان.[٦]

وقيل : إنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر فقال حمل : لبّث قليلا ... البيت فأُرسل مثلا ، ثُمّ أتى مالكا ، فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة ، فقتلهما وقال :

شفيتُ النفسَ من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني[٧]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٢٤٣ .
(٢) السابق ٩ / ٢٤٦ .
(٣) النهاية في غريب الأثر ١ / ٣٤٣ .
(٤) شرح ميثم البحراني ١ / ٦٥٥ .
(٥) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٠ ، وينظر صبح الأعشى ١ / ٢٧٧ .
(٦) جمهرة الأمثال ٢ / ٢٠٦ .
(٧) ينظر شرح ميثم البحراني ٢ / ٣٥٥ .

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال أبو عبيد : ((ومنه الشعر الذي تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق :
لبّث قليلا ... البيت يعني حمل بن بدر الفزاري))،[١] وجاء في اللسان : ((قد سمتُ حملا وحُميلا ، وبنو حمل بطن وقولهم :
ضح قليلا يدرك الهيجا حمل ....
إنما يعني حمل بن بدر)) . [٢]

وهذا يعني أنّ هذا الشطر قد أصبح من أمثال العرب مع اختلاف الرواية فيه فقد جاء في المعجم الوسيط: ((لبّث : انتظر ، وفي المثل : لبّث قليلا يدرك الهيجا حمل)). [٣]

ووجه التمثيل واضح إذ بعد أن ذكر الإمام شجاعة بني عبد المطلب في القتال بعدما هدده معاوية بالحرب تمثّل به كأنه يريد أن يقول له انتظر قليلا فسوف يتلاحق الرجال الأشداء ومنهم بنو عبد المطلب ولسوف ((يطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد)) ، وهذا ما يوضحه قول الإمام اللاحق: ((أنا مُرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان)) .

ـ هنالك لو دعوتَ أتاك منهُم فوارسٌ مثلُ أرميةِ الحميم

تمثّل به الإمام في خطبة له وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد عندما وصل على قوله : ((... أما والله لوددتُ أنّ لي ألفَ فارسٍ من بني فراس بن غانم ...)) .

قال السيد الشريف : ((أقول : الأرمية جمع رمي وهو السحاب ، والحميم ها هنا وقت الصيف وإنما خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشدّ جفولا وأسرع خفوقا ؛ لأنه لا ماءَ فيه ، وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لا يكون في الأكثر إلّا زمان الشقاء ، إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دُعوا والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل على ذلك قوله :
هناك لو دعوتَ أتاك منهم ...)). [٤]

والبيت المتمثّل به لأبي جُندب الهذلي وأول الأبيات :
ألا يا أمّ زنباغ أقيمي صدور العيس نحو بني تميم[٥] .

وكذلك وردت نسبته في اللسان وفي الأغاني إلّا أنهما رويا (رجال) بدل (فوارس) . [٦]

وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم حامي الظعن حيّا أو ميتا ، و لم يحم الحريم أحد وهو ميت غيره ، عرض له فرسان من بني سُليم ومعه ظعائن من أهله يحميهنّ وحده ، فرماه أحد الفرسان أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه ، وأشار إليه في السير ، فسرنَ حتى بلغنَ بيوت الحي ، وبنو سليم ينظرون إليه لا يتقدم احد منهم نحوه خوفا منه حتى رموا فرسه بسهم ، فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا . [٧]

ووجه التمثيل : أنّ هؤلاء القوم الذين ودّ أنهم كانوا عوضا عن قومه هم بصفة الفوارس الذين أشار إليهم الشاعر في المبادرة على إجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ، ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ، ومقصوده في جميع ذلك ذمّ قومه وتوبيخهم ، وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عمّا عليه من التثاقل من دعوته للذبّ عن دين الله. [٨]

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١ / ٤٤٠ .
(٢) لسان العرب ١١ / ١٨٢ .
(٣) المعجم الوسيط ٢ / ٨١٢ .
(٤) نهج البلاغة ١ / ١١٩ ـ ١٢٠ .
(٥) ينظر شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٤٨ .
(٦) ينظر لسان العرب ١٤ / ٣٣٧ ، والأغاني ١٠ / ٢٣٠ .
(٧) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ .
(٨) شرح ميثم البحراني ٢ / ٢٣٤ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني : ما تمثّل به الشريف الرضي

ـ فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورَهم فكيفَ بهذا والمشيرون غُيّبُ
وإن كنتَ بالقربى حججتَ خصيمهم فغيرُك أولى بالنبي و أقربُ

تمثّل بـه الـشريف الرضـي تعليقـا علـى قـول الإمـام : ((واعجبـاه ! أ تكـونُ الخلافـةُ بالـصحابة والقرابة؟))، فقال الشريف الرضي : ((ورُوي له شعر في هذا المعنى ...)) أي البيتان السابقان .

وقال الشيخ محمد عبده : ((يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الأمر وهم علي وأصحابه من بني هاشم ، ويريد بالقربى احتجاج أبي بكر على الأنصار بأنّ المهاجرين شجرة النبي (صلى الله عليه وسلم).[١]

وقد ورد هذان البيتان في ديوان الإمام علي (عليه السلام).[٢]

ويعلق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله : ((حديثه في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر ، امّا النثر فإلى عمر توجيهه لأنّ أبا بكر لمّا قال لعمر : امدد يدك قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها شدّتها ورخائها فأمدد أنت يدك ، فقال علي : إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن كلها فهلّا سلّمتَ الأمر إلى مَن شركه في ذلك وزاد عليه بالقرابة ، وأمّا النظم فموجه إلى أبي بكر لأنّ أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة فقال : نحن عترة رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وبيضته التي تفقأت عنه ، فلما بويع أحتج على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت من أهل الحل والعقد ، فقال علي : أمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومن قومه فغيرك أقرب نسبا منك إليه ، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك فقد كان قوم من جلّة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت ؟)).[٣]

ويقول ميثم البحراني : ((رُوي هذا القول عنه بعد بيعة عثمان ، وهو صورة جواب ما كان يسمعه من تعليل استحقاق عثمان للخلافة تارة بالشورى، وتارة بأنه من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، تقريره أنّ استحقاقه للخلافة إمّا أن يكون معللا بالشورى أو بصحبته رسول الله أو بقرابته ، فإن كان الأول فكيف يملك عثمان أمور الناس للشورى، وأكثر مَن يستحق الاستشارة منهم لم يكونوا حاضرين ؟ وذلك معنى إشارته بقوله : فإن كنتَ بالشورى إلى تمام البيت وإن كان الثاني فكيف يملك أمورهم بالصحبة بوجود مَن له الصحبة التامة والقرابة معا ؟ بل يكون هذا أولى ، وإن يكن الثالث فغيره أولى منه بالنبي وأقرب إليه وعن نفسه في الوجهين)).[٤]

ووجه التمثيل أنّ ذكر الشريف الرضي لهذين البيتين المنسوبين إلى الإمام علي(عليه السلام) يطابق قول الإمام ويوضح معناه .

****

ـ لمّا رأيتُ فالجا قد فلجَ

تمثّل به الشريف الرضي عند تعليقه على غريب كلام الإمام علي إذ يقول :

((... كالياسرِ الفالجِ ينتظرُ أولَ فوزهِ من قداحهِ))، قال الشريف الرضي :

((الياسرون : هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، والفالج: القاهر والغالب ، يقال : فلج عليهم وفلجهم ، وقال الراجز:...)).[٥]

---

(١) نهج البلاغة ٤ / ٧٠٠ .
(٢) ديوان الإمام علي / ١٢ .
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤١٦ .
(٤)شرح ابن ميثم البحراني ٢ / ٥٦٢ .
(٥) نهج البلاغة ٤ / ٧١٧ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد جاء في النهاية في غريب الأثر : ((في حديث علي إنّ المسلم ما لم يغشَ دناءة يخشع لها إذا ذُكرت ، وتُغرى بها لئام الناس كان كالياسر الفالج ... والياسر: من الميسر ، يقال : يُسر الرجل ييسر فهو يسرٌ وياسر والجمع أيسار))،[١] و((فلجت القوم فلجا غلبتهم ، وعليهم كذلك ، وفلج فالجا بطل نصفه ، وفلج الرجل فلجا غار قدحه)).[٢]

والرجز لابن ميادة وهو شاعر فصيح مقدم من شعراء الدولة الأموية والعباسية وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة[٣] ، وكان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي على زمن المنصور ، اخبرنا يحيى بن علي قال : كان ابن ميادة فصيحا يُحتج بشعره[٤] .

ووجه التمثيل مطابق لما في النصّ النثري وموضح له فضلا عن الشاعر ممن يستشهد بشعره فيكون تمثيل الشريف الرضي موفقا ، وقد فسّر كلمة (الفالج معجميا مطابقا لما في المصادر الأخرى إلّا أنّ ابن أبي الحديد يرى غير ذلك في تفسير (الفالج) في قول الإمام إذ يقول : ((ليس يعني بقوله الفالج القامر الغالب فسّره الرضي ـ رحمه الله ـ لأنّ الياسر الغالب القامر لا ينتظر أول فوزه من قداحه وكيف ينتظر وقد غلب ، وايّ حاجة إلى الانتظار ولكنه يعني بالفالج الميمون النقيبة الذي له عادة مضطردة أن يغلب ، وقلّ أن يكون مقهورا))[٥].

****

ـ حدابيرُ ما تنفكُّ إلّا مناخةً على الخسفِ أو نرمي بها بلدا قفرا

تمثّل به الشريف الرضي عند تعليقه على خطبة للإمام في الاستسقاء ومنها :

((... اللهُمّ خرجنا إليك حينَ اعتكرت علينا حدابيرُ السنينَ ...)) .

قال الشريف الرضي : ((حدابير السنين : جمع حدبار وهي الناقة التي أنضاها السير فشبّه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة ...))[٦] .

قال ابن أبي الحديد : ((البيت الذي ذكره الرضي ـ رحمه الله ـ لذي الرمة لا أعرفه إلّا حراجيج وهكذا رأيته بخط ابن الخشاب ـ رحمه الله ـ والحرجوج : الناقة الضامرة في طول ... وفي البيت مسألة نحوية إنّ ما تنفك هنا تامة ومناخة : منصوب على الحال))[٧] .

جاء في اللسان : انفككت منك وانفك الشيء من الشيء فتكون بلا جحد وبلا فعل

قال ذو الرمة :

قلائص ماتنفك إلّا مناخة ...

فلم يدخل فيها إلّا (إلّا) وهو ينوي التمام وخلاف يزال لأنك لا تقول مازلت إلّا قائما وأنشد الجوهري هذا البيت حراجيج ما تنفك ، وقال : يريد ما تنفك مناخة فزاد (إلّا) ، قال ابن برّي : الصواب أن يكون خبر (ماتنفك) قوله على الخسف وتكون (مناخة) منصوبة على الحال تقديره : ماتنفك على الخسف والإهانة إلّا في حالة الإناخة فإنها تستريح.[٨]

ووجه التمثيل أنّ ما رواه الشريف الرضي في قول ذي الرمة (حدابير) ليس دقيقا ، والأدق منه (حراجيج) فيكون تمثيله بالبيت غير مطابق لما في النصّ النثري ؛ لأنّ الإمام ذكر(حدابير)،

(١) النهاية في غريب الاثر ٥ / ٢٩٥ .
(٢) كتاب الأفعال ٢ / ٤٦٦ .
(٣) ينظر الأغاني ٢ / ٢٥٧ .
(٤) ينظر السابق ٢ / ٢٦٥ .
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١١٥ .
(٦) نهج البلاغة ٢ / ٢٧٨ .
(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧ / ٢٦٥ .
(٨) لسان العرب ١٠ / ٤٧٧ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمفروض أن يأتي ببيت شعر فيه هذه الكلمة كشاهد لغوي على ما يريد إلّا أنّ الكلمتين متشابهتان من حيث المعنى فكلاهما تعني الناقة الضامرة .

****

ـ ما يُجعل الجُدَّ الظنون جنبَ صوبَ اللجبِ الماطرِ
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهرِ

تمثّل بهما الشريف الرضي عند تعليقه على غريب كلام الإمام إذ يقول : ((إنّ الدينَ الظنونَ يجبُ عليه أن يُزكّيه لما مضى إذا قبضَهُ)) .

قال الشريف الرضي : ((فالظنون الذي لا يعلم صاحبه ا يقبضه من الذي عليه أم لا ؟ فكأنه الذي يظن به ، فمرة يرجوه ، ومرة لا يرجوه ، وهذا أفصح الكلام وكذلك أمر تطلبه ، ولا تدري على أيّ شيء منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الأعشى : ... ، والجدّ : البئر العادية في الصحراء ، والظنون : التي لا يعلم صاحبها هل فيها ماء أم لا ؟)).[١]

وفي اللسان : الماهر : الحاذق بكل عمل ، قال الأعشى يذكر تفضيل عامر على

علقمة بن عُلاثة :

إنّ الذي فيه تماريتما بيّن للسامع والناظر
ما جعل الجدّ الظنون الذي جُنبَ صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

قال : الجدّ : البئر ، والظنون : التي لا يُوثق بمائها ، والفراتي : الماء المنسوب للفرات وطما : ارتفع ، والبوصي : الملاح ، والماهر : السابح ، ويقال : مهرت بهذا الأمر أمهر فيه مهارة أي صرت به حاذقا.[٢]

ووجه التمثيل : أنّ الدين القليل الظنون الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه أم لا ؟ مثل البئر القليل الماء الذي يتشكك هل فيه ماء أو لا ؟ لبعده بالفرات إذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم ، وقد جاء التمثيل الشعري موفقا وموضحا لما في النصّ النثري فضلا عن أنّ الشاعر ممن يستشهد بشعره .

الخاتمــة

من خلال البحث ظهرت النتائج الآتية :

ـ تمثّل الإمام علي (عليه السلام) بأربعة عشر بيتا بعضها تمثّل بصدرها أو بعجزها بينما تمثّل الشريف الرضي بستة أبيات ، فيكون مجموع الأبيات المتمثل بها في نهج البلاغة (عشرين) بيتا .

ـ الأبيات التي تمثّل بها الشريف الرضي تقع ضمن مدة الفصاحة ، ولشعراء يستشهد بشعرهم ، ومن الطبيعي أن تكون الأبيات التي تمثّل بها الإمام كذلك لأنها من عصر ما قبل الإسلام أو من عصره .

ـ اغلب الأبيات التي تمثّل بها الإمام أصبحت من أمثال العرب كما هو مثبت في كتب الأمثال أو التي تُعنى بالأمثال فعلى سبيل المثال : (وقد يستفيد الظنة المتنصح) ، و(تلك شكاة ظاهر عنك عارها) ، و(على وضر من ذا الإناء قليل) ، (لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل) .

ـ بعض الأبيات التي تمثّل بها الإمام قد تأثر بها بعض الشعراء فنسجوا على منوالها ، أو غار أحدهم عليها فأخذها بأعيانها .

---

(١) نهج البلاغة ٤ / ٧١٦ .
(٢) اللسان ٥ / ١٨٤ ـ ١٨٥ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ وجه التمثيل في هذه الأبيات مطابق لمعنى النصّ النثري وموضحا له ولاسيما التي تمثّل بها الإمام علي (عليه السلام) ، وكذلك التي تمثّل بها الشريف الرضي إلّا بيتا واحدا رواه لذي الرمة أوله (حدابير) والأدق (حراجيج) وكلتا الكلمتان لهما معنى واحد وهو (الناقة الضامرة).
ـ وأخيرا حقيقة تبرز نفسها أنّ الإمام علي كان يحبّ الشعر ويقوله مما يعزز ما ذكرته المصادر من أبيات شعرية منسوبة له.

المصادر والمراجع

ـ إصلاح المنطق ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، تحقيق أحمد محمود شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ط٤ / ١٩٤٩ .
ـ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الفكر بيروت ط٢ .
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، ط١ ١٩٦٥ .
ـ جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت .
ـ ديوان الإمام علي(عليه السلام) جمع وترتيب عبد العزيز مكرم .
ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ط٣ .
ـ ديوان حاتم الطائي ، دار صادر بيروت .
ـ ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي ، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح ، الدار الوطنية للنشر بغداد .
ـ ديوان الحماسة ، شرح العلّامة التبريزي ، مكتبة النورس ، دمشق .
ـ شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت ، ط١ / ١٩٨٧ .
ـ شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي البحراني ، طبعة منقحة ومصححة عنى بها وقدّم لها الأستاذ يوسف علي منصور ، مؤسسة التاج العربي بيروت لبنان ، ط١ / ١٩٩٢ .
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق د. يوسف علي طويل ، دار الفكر دمشق ، ط١ / ١٩٨٧ .
ـ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني جدّة .
ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيدة البكري ، تحقيق د . إحسان عباس ، ود . عبد المجيد عابدين ، مؤسسة الرسالة بيروت ط٣ / ١٩٨٣ .
ـ كتاب الأفعال ، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي ، عالم الكتب بيروت ، ط١ / ١٩٨٣ .
ـ كتاب جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد الحميد قطامش ، دار الفكر ، ط٢ / ١٩٨٨ .
ـ لسان العرب ، العلّامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر بيروت لبنان .
ـ مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت لبنان .
ـ المستقصي في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ /١٩٨٧ .
ـ المعجم الوسيط ، قام بإخراجه مجموعة من العلماء ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط١ .
ـ نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي ، قُم إيران ، ط٢ / ١٤١٦ هـ .

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com